

أبي نجار لسواقى



سفیر

أبي نجّار السّوّافي

رسم
د. يحيى عبد

تأليف
محمد رفعت أبيل

إنتاج وحدة ثقافة الطفل بشركة سفير

حقوق التصميم والطباعة والنشر
محفوظة لشركة سفير "إعلام - دعابة - نشر"

رقم الإيداع : ١٩٨٩/٧٣١٩
الرقم الدولي : ٠-٠-٤٠-١٦٧٥-٩٧٧

الطبعة الثالثة
١٩٩٠م



مازلتُ أذكرُ يومَ امتحانِ اللغةِ العربيةِ ، وأنا تلميذٌ في مدرسةٍ قريتي
الابتدائية . جمعَ الأستاذُ « عليٌّ » - مدرسُ الفصلِ - أوراقَ الإجابةِ ،
وراحَ ينظرُ إليها بسرعةٍ وهو ساخطٌ ، ثم أخذَ يسخرُ من زملائي فبشَّرَ
« محمود » ابنَ الصولِ « حسنين » بمستقبلٍ باهرٍ في تجارةِ
المواشي ، ووعدَ « صلاح » ابنَ شيخِ البلدِ بوظيفةٍ غفيرةٍ تحتَ قيادةِ
أبيه ، ونصحَ « سمير » ابنَ الصَّرَافِ أن يقضيَ وقتهُ في خيامِ الموالِدِ ،
وأعطى « حسن » ابنَ ناظرِ المدرسةِ صفراً كي يتباهى به بين زملائه .
ثم أمسكَ ورقتي بإعجابٍ ، ونظرَ إليَّ في عطفٍ وقالَ : ما شاءَ اللهُ
زادَكَ اللهُ من فضلهِ يا بُنَيَّ .



وفى طريقِ عودتنا إلى بيوتنا التفَّ حولي زملائي ، وأخذوا
يسخرون مِنِّي . فقال لي « حسن » ابنُ ناظرِ المدرسة : والله ونفَعْتَ
يا ابنَ نجارِ السواقى !! وانفجرَ الجميعُ بعدها ضاحكين ، وتتابعتْ
تعليقاتُهم الجارحةُ ، فقال « خيرى » إنَّ أبى يدقُّ فى رأسى مساميرَ
الذكاءِ ووصفنى « سميرٌ » بأننى أدورُ فى ساقيةِ النجاح ، وسمَّانى
« صلاحٌ » المنشارَ ، وختمَ « محمودٌ » سلسلةَ الإساءاتِ بأنْ ذكَّرنى
أنَّها مجردُ أيامٍ أقضيها حتَّى يضطرَّنى الفقرُ إلى اللحاقِ بأبى فى مهنتِهِ .
أحسستُ بالطريقِ طويلاً لشدةِ حزنى من سخريتهم ، وعندما
وصلنا إلى الجسرِ تفرَّقنا إلى بيوتنا ، وفى البيتِ حاولتُ أنْ أهربَ من
أحزاني بمراجعةِ دروسى فلم أستطعُ .



خرجتُ من بيتي والضيقُ يملأُ صدري .. فانطلقتُ أسيرُ بينَ
الحقولِ تغالبني الدموعُ ، حتَّى لاقاني الشيخُ « عبدُ الحميد » إمامُ
مسجدِ القرية . بادرنِي بالسلام ، وقد لفتَ نظره ما ظهرَ على وجهي
من أسي ، فسألني عَمَّا أفعلُ في هذا المكانِ ، فاستحييتُ أولَ الأمرِ أن
أصارحه بما أحسُّ به في نفسي ، حتَّى استطاعَ بلباقته أن يحملني على
الإفصاح ، فرويْتُ له ما حدثَ في الفصل ، وما قالهُ أستاذي وما قالهُ
لِي زملائي وسخريتهم من مهنة أبي الذي يعملُ نجاراً للسواقِي .
وأخذني الشيخُ « عبدُ الحميد » وهو يضعُ ذراعَهُ على كتفي ،
وأجلَسني بجواره على المصطبة التي أعدها تحتَ الشجرةِ الكبيرة التي
توجدُ في حقله .



ثُمَّ أَشَارَ بِإِصْبَعِهِ إِلَى الْحَقُولِ الْمَمْتَدَةِ عَلَى مَدَى الْبَصَرِ ، وَدَارَ بَيْنَنَا هَذَا الْحَوَارُ .

— تَرَى مَاذَا تَعْطِينَا هَذِهِ الْحَقُولُ الْوَاسِعَةُ ؟

— تَعْطِينَا الْقَمْحَ وَالْخَضِرَاوَاتِ وَالْفَاكِهِةَ وَغَيْرَهَا .

— هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَعِيشَ مِنْ دُونِ الْقَمْحِ ؟

— 'هَذَا أَمْرٌ صَعْبٌ يَا سَيِّدِي .

— هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَصْنَعَ مَلَابِسَنَا إِذَا لَمْ نَزْرِعِ الْقَطْنَ ؟

— لَا أَظُنُّ يَا سَيِّدِي .

— هَلْ نَحْصِلُ عَلَى اللَّحُومِ وَالْأَلْبَانِ إِذَا لَمْ تَجِدِ الْمَوَاشِيَ مَا تَأْكُلُهُ مِنْ

مَزْرُوعَاتٍ ؟

— بِالتَّأَكِيدِ لَا يَا سَيِّدِي .



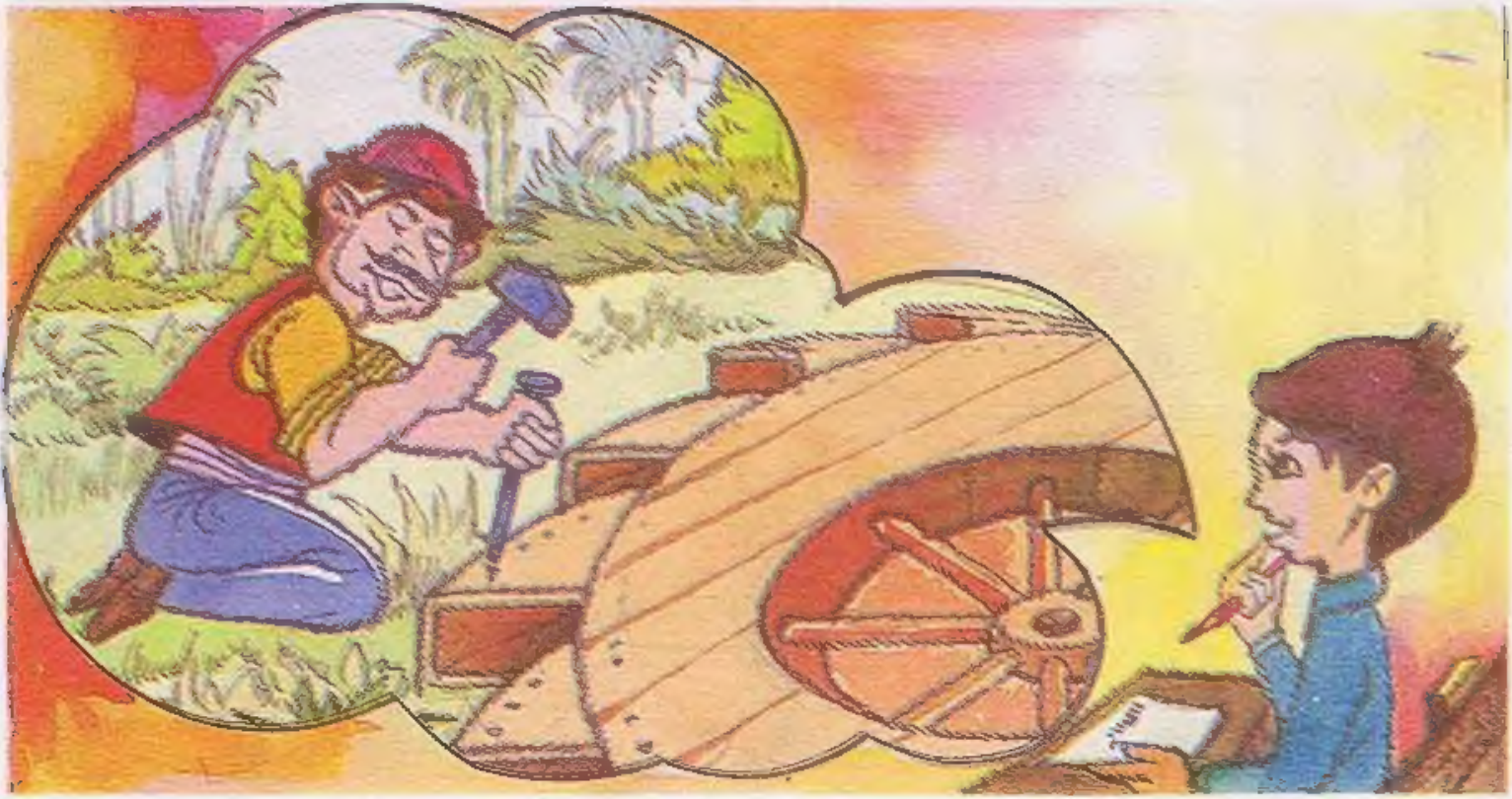
ثُمَّ نَظَرَ إِلَى وَسَائِلِي : هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَعِيشَ هَذِهِ الْمَزْرُوعَاتُ دُونَ أَنْ
نَرْوِيَهَا بِالْمَاءِ ؟ فَأَجَبْتُهُ بِسُرْعَةٍ : لَا .. لَا يَا سَيِّدِي ، سَتَمُوتُ جَمِيعُهَا
.. وَلَنْ تَجِدَ مَا تَتَغَذَّى عَلَيْهِ .

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الشَّيْخِ « عَبْدُ الْحَمِيدِ » وَأَمْسَكَ بِيَدِي وَقَالَ : أَظُنُّكَ
الآنَ قَدْ فَهَمْتَ وَعَرَفْتَ أَنَّنَا لَنْ نَأْكُلَ بِطُولِ لِسَانِ زَمَلَائِكَ ، وَلَنْ تُغْنِيَنَا
سَخَرِيَّتُهُمْ عَنِ الْقَمْحِ وَالذَّرَةِ وَالْقَطَنِ وَالْخَضِرِ وَالْفَاكِهَةِ ، فَإِذَا كَفَّ
أَبُوكَ عَنِ صَنْعِ سَوَاقِينَا وَإِصْلَاحِهَا ، فَلَنْ نَجِدَ فِي هَذَرِهِمْ مَا يَطْعُمُنَا
وَيَكْسُونَا . اسْمَعْ يَا بُنَى : إِنْ عَقَلْتَ يَسْبِقُ عَمْرَكَ ، وَأَنَا رَاضٍ عَنْ
جِدِّكَ وَدَأْبِكَ ، وَإِنَّكَ سَتَتَعَلَّمُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - حَتَّى تَصْبَحَ رَجُلًا نَابِهًا
لَهُ شَأْنٌ . شَرَحَ كَلَامُ الشَّيْخِ « عَبْدُ الْحَمِيدِ » صَدْرِي .



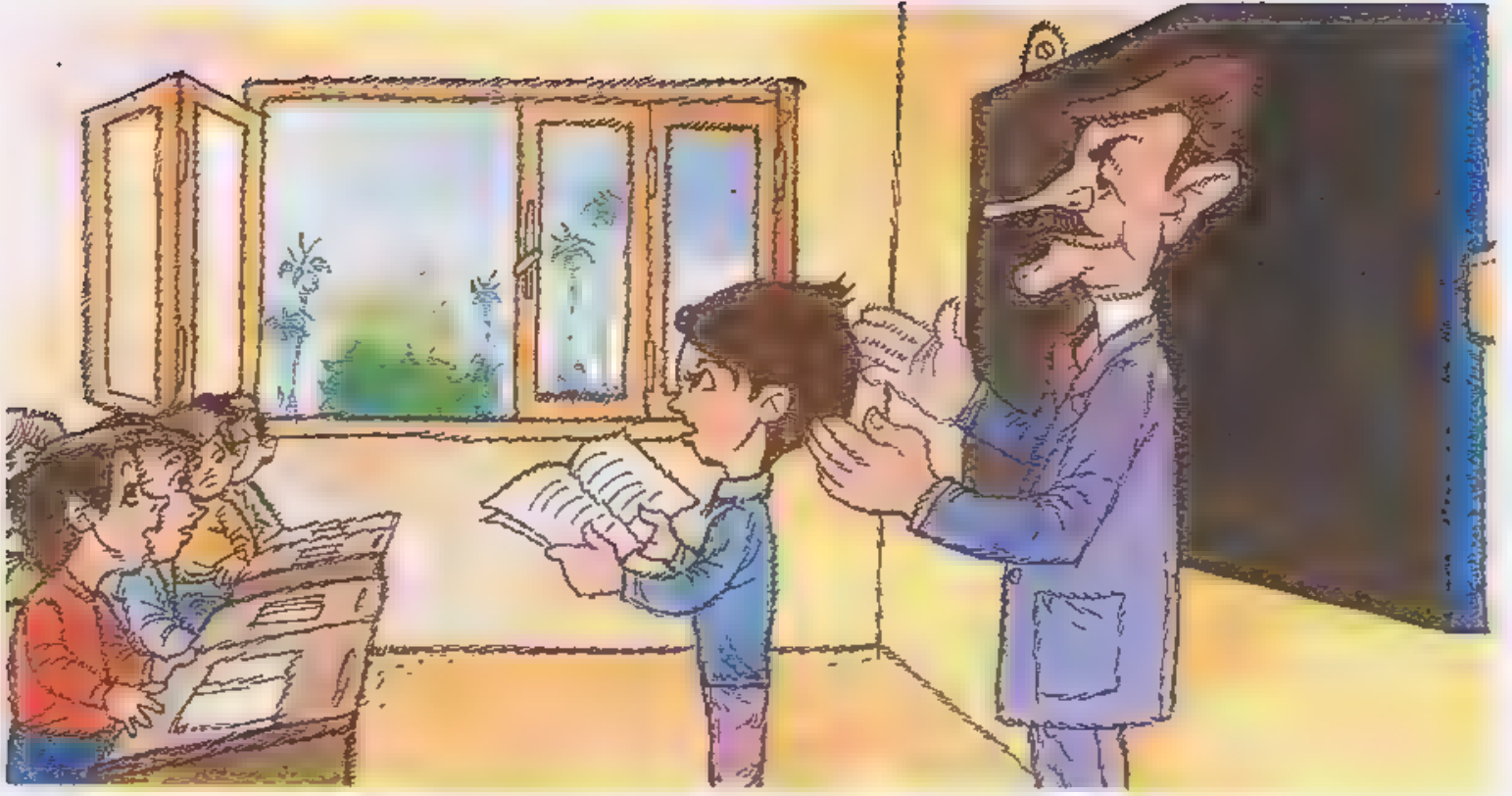
وفى اليوم التالى عدتُ إلى المدرسة مرفوعَ الرأسِ موفورَ الكرامة ،
وجاءتْ حصّةُ الحسابِ ، ووزّعَ الأستاذُ « على » أوراقَ الإجابة على
التلاميذ ، فلمّا وجدوا أنّي قد حصلتُ دونهم على الدرجة النهائية ،
عادوا إلى همزهم ولمزهم مرةً أخرى فلمْ أبال .

وأخجلهم إعراضى عنهم . فكفوا بعدَ قليلٍ عن سَخَفِهِمْ ، وآلَيْتُ
على نفسى بعدها أنْ أضربَ لهم المثلَ الذى تعلمتهُ من الشيخ
« عبد الحميد » فلمْ أكنْ أبخلُ على واحدٍ منهم بعونٍ ، ولمْ أحاولُ
أبداً أنْ أردّ على إساءةٍ بمثلها ، فلمْ يجدوا عندى حينَ يتناولُ بعضهم
على مهنةِ أبى سوى إعراضٍ لا يطولُ .



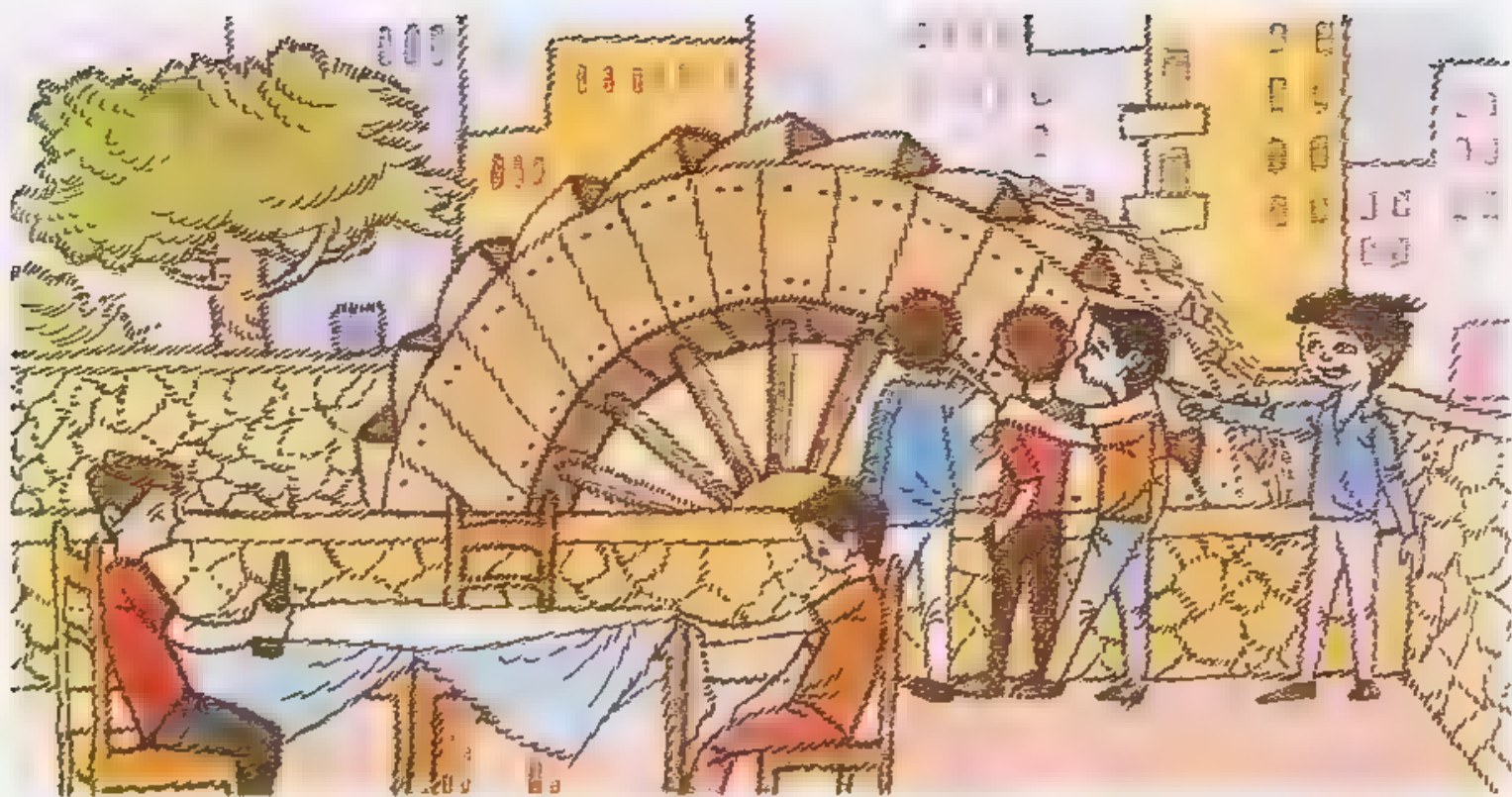
و ذات يوم ، فى إحدى حصص اللغة العربية ، طلب مِنّا الأستاذ « على » أن نكتب فى موضوع التعبير عن شخص أثّر فى حياتنا تأثيراً خاصاً ، لم أتردد فى أن أكتب بثقة :

إنّ الشخص الذى أثّر فى حياتى ليس عالماً أو فيلسوفاً إنه أبى .. نجار السواقى ، وقرأ الأستاذ « على » موضوع التعبير فامتدح أسلوبى ، وأعطانى درجة عالية ، وزاد على ذلك أن كافأنى مكافأة رمزية بأن أهدانى قلماً ملوناً ، تشجيعاً لى على الاستمرار فى التفوق ، وطلب منى أن أخرج وأقف بجواره ، ثم أمرنى أن أقرأ الموضوع الذى كتبته على زملائى .



وكان الأمر مفاجأة لي .. وفي هذه اللحظة تذكرتُ على الفور
كلام الشيخ « عبد الحميد » فتمالكْتُ نفسي ، وقرأتُ بصوتٍ واضحٍ
واثقٍ موضوعِ التعبير ، فرأيتُ على وجوه زملائي تقديراً يشوبه
الخجلُ ، وكان الأستاذ « عليّ » واقفاً على مقربةٍ مِنِّي ، يُحيطُنِي
بنظراتِ الإعزازِ ، حتى إذا فرغتُ من القراءةِ دَوَّى الفصلُ كُلُّهُ
بالتصفيقِ الحارِ ، وتلقاني الجميعُ سعداءَ مهنتين .

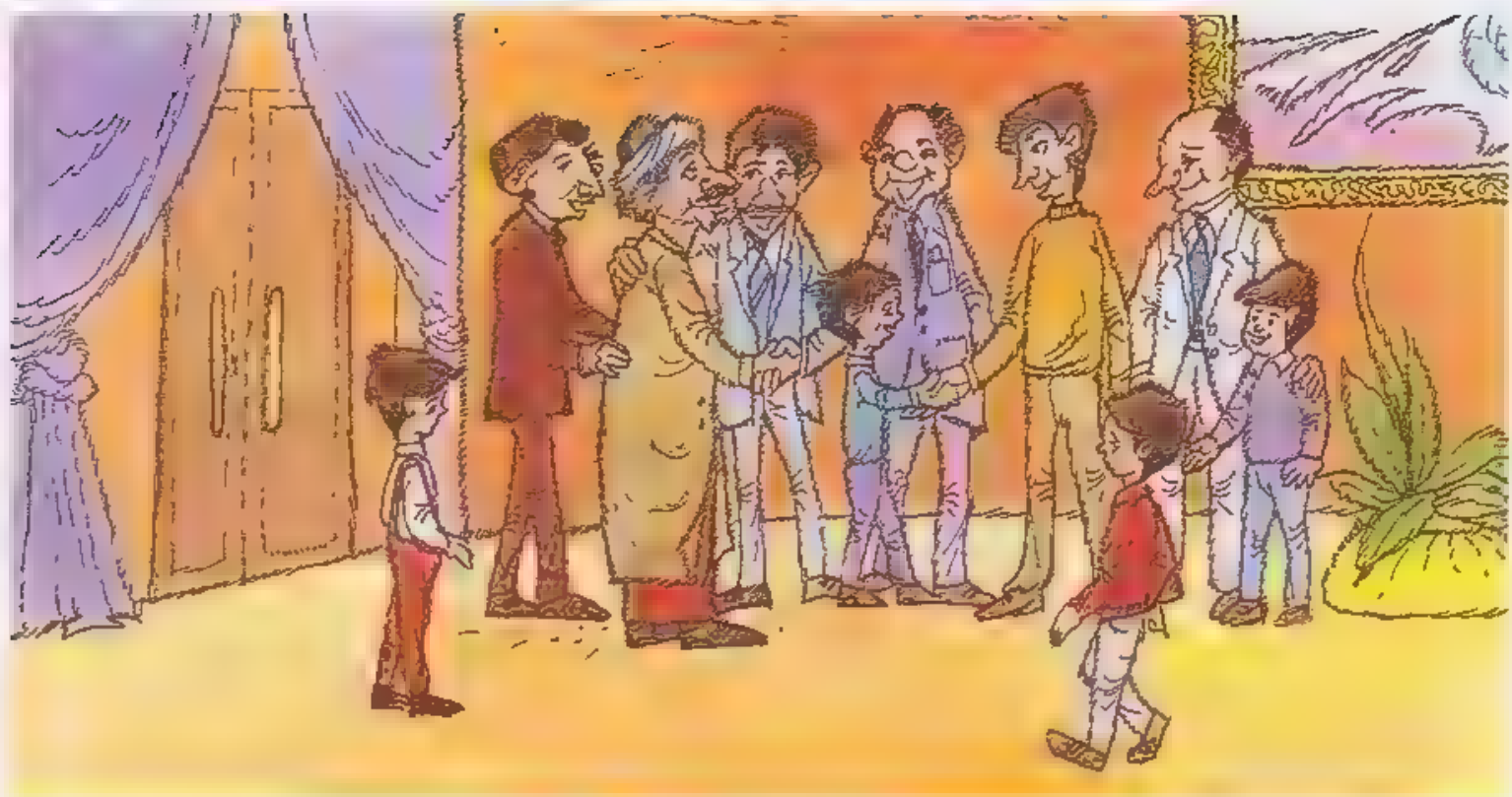
وأصبحَ هذا اليومُ نقطةَ التحولِ في حياتي كُلِّها ، فازددتُ حُبًّا
لمدرستِي وزملائي .



وازدادت ثقتي بنفسي وأصبحتُ أحرصُ على مشاركة الزملاء في كل نشاطٍ من أنشطة المدرسة بعد أن كنتُ منطوياً على نفسي ، مبتعداً عن كل ماعداً دروسي المقررة .

فذهبتُ مع زملائي في رحلةٍ إلى الفيوم . واشتركتُ في تنظيم معرضٍ فني عن تطور وسائل الرّى في بلادنا ، وافتتح هذا المعرض في احتفالٍ مهيبٍ ، حضره مع ناظر المدرسة وأساتذتها زائرٌ كبيرٌ من رجال التعليم ، وعندما سألتني الضيف عن سرّ اهتمامي بهذا الموضوع ، وعن مصادر معلوماتي المتنوعة عنه أجبته بثقة .

إن حياتنا ترتبط ارتباطاً أساسياً بماء النيل ، كما أن أبي نجارٍ سواقٍ .



وفى نهاية العام الدراسى أقامت المدرسةُ حفلاً بهذه المناسبة ،
وكان أبى بين أولياء الأمور الذين دعتهُم المدرسةُ لحضورِ هذا
الحفْلِ ، فاستقبله الناظرُ مُرحِّباً ، وصحبَه بنفسِه إلى حيثُ جلسَ ،
وقد قدَّمَ فصلُنَا فى هذا الحفْلِ تمثيليةً قصيرةً ، قمتُ فيها بدورِ نجارِ
السواقى الذى يَقْنَعُ بالقليلِ ، ويكره الظلمَ ويتحالف مع إخوانه
الفلاحين .

وفى هذا الحفْلِ أعلنَ ناظرُ المدرسةِ عن اختيارِ طالباً مثالياً
لتفوقى وأخلاقى ، وتعاونى مع زملائى ، ثم دعا أبى إلى إلقاءِ كلمةِ
أولياء الأمورِ بوصفه أباً للتلميذِ الذى اختارته المدرسةُ طالباً مثالياً لها



وَصَعِدَ أَبِي مَسْرَحِ الْمَدْرَسَةِ ، وَأَنَا سَعِيدٌ بِهِ وَفَخُورٌ .
وَوَقَفَ يَتَحَدَّثُ بِطَلَاقَةٍ عَنْ اعْتِزَالِهِ بِالْعَمَلِ ، وَاحْتِرَامِهِ لِلْعِلْمِ ،
وَشَكَرَ نَاضِرَ الْمَدْرَسَةِ وَأَسَاتِذَتَهَا عَلَى جُهِودِهِمُ الْمُؤَفَّقَةِ فِي تَنْشِئَةِ جِيلٍ
يَتَحَلَّى بِالْقِيَمِ وَالْفَضَائِلِ ، ثُمَّ ذَكَرَهُمْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمُ لَأَدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ
تَرَابٍ ، وَلَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ وَبِالْعَمَلِ الصَّالِحِ .
وَعَادَ أَبِي إِلَى مَكَانِهِ وَسَطَ تَصْفِيْقِ الْحَاضِرِينَ وَإِعْجَابِهِمْ بِبِلَاغَتِهِ ،
وَوَقَفْتُ فِي نَهَايَةِ الْحَفْلِ إِلَى جَوَارِهِ ، مُفْتَخِرًا بِهِ ، نُصَافِحُ مَعًا زَمَلَائِي
وَأَوْلِيَاءَ أُمُورِهِمْ ، وَأَنَا أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى تَوْفِيقِهِ لِي ، وَأَنْ جَعَلَ أَبِي نَجَارًا
لِلسَوَاقِي .



وبعد ذلك انتقلتُ من المدرسة الابتدائية ، وأنهيتها بنجاح
وتفوقٍ ، ومن بعدها المرحلة الإعدادية .

ثم تابعتُ الدراسة ، وحصلتُ على الشهادة الثانوية بتفوقٍ ،
والتحقتُ بكلية الهندسة ، وكان مشروعُ التخرج عن آلة مبتكرة لريِّ
الأراضي الزراعية ، وبعدَ تخرجي عملتُ مهندساً للريِّ ، وأدركتُ أنَّ
النجاحَ الدراسيَّ إنَّما هو بدايةٌ للنجاح الأكبر ، فتفانيتُ في عملي ،
ووهبته كلَّ حياتي : أجددُ ، وأبتكرُ ، وأطوِّرُ .

إلى أن جاءَ اليومُ الذي تُوجَّ فيه عملي بترقيتي إلى منصبِ مديرِ
الرِّيِّ ، في نفس المنطقة التي نشأتُ فيها ، والتي عاشَ على أرضِها
أبي من قبلُ ، وأوصاني بها من بعده .



وفى أوّل يومٍ لتسليمي العمل كمدير للرّى ، استقبلني زملائي فى العمل استقبالا حسنا ، وأقاموا لى حفلا بهذه المناسبة ، وكانت هذه اللحظات مليئة بسعادة غامرة لا يشوبها غرور أو كبر ، فقد مرّت على خاطري أحداث حياتى كلها وكأنّها فيلم .. فشكرت الله عزّ وجلّ على ما أعطانى .

وتسابق الجميع فى الإشادة بكفاءتي وإخلاصى ، وتفانى فى العمل ، وحرصى على الاطلاع على كلّ جديد فى مجالات الرّى ، وأظهروا نحوى مشاعر الاعتزاز والحبّ ، ووجه أحدهم الحديث إلى متسائلا عن سرّ حُبّى الشديد لعملى ، وإخلاصى الزائد له ، وجهودى الدائمة من أجله .



و حينما جاء دورى فى الحديث ، شكرتهم على كريم صنيعهم ،
ورجوتُ أن يستمرّ تعاوننا جميعاً لصالح أمتنا ، وأن نتخلص من
حُبِّ النفس ، ومن الغرور .

فالإنسان مهما أنجز ، فهو توفيقٌ من الله عزَّ وجلَّ .

وختمتُ حديثى إلى الجمع الحاشد من زملائى قائلاً فى ثقة :

أيُّها السادة . إنكم تساءلتم عن سرِّ حُبِّى الواضح لمهنتى ، وطلبتم
إلى أن أجيبكم فى كلمتى على هذا التساؤل . السر هو أننى منذ
صغرى تعلمتُ درساً عظيماً هو أن العمل أياً كان نوعه شرفٌ وعبادة .
إنَّ السرَّ أيُّها الأخوة هو القدوة ، فقد كان أبى نجار سواقٍ .

سفير

إعلام - دعاية - نشر

يسر شركة سفير أن تقدم للأطفال مجموعة من الأعمال المتميزة
في مجال الكتب وشرائط الكاسيت

أولا : الكتب :

- سلسلة أجيالنا الرشيدة
- سلسلة عالم التلوين
- سلسلة واجبي
- سلسلة أحباب الرحمن
- سلسلة المسلم الصغير في عالم التلوين
- سلسلة المؤمن القوى
- سلسلة الألعاب والتسالي
- سلسلة الأغاني والأناشيد
- وهناك مجموعة أخرى من كتب الأطفال

ثانيا الكاسيت :

- ١ - سجع الطير
- ٢ - أركان الإسلام
- ٣ - أركان الإيمان
- ٤ - إقرأ
- ٥ - الوردة الصفراء
- ٦ - الوردة الحمراء
- ٧ - حكايات الأطفال قبل النوم